

## سلوكنا وسلوكهم

نشأت في القاهرة وأنا أرى وأصادق أحيانا أبناء الجاليات الأجنبية من أتراك وأرمن ويونانيين وإيطاليين وفرنسيين .. الخ ، وكانت هذه الجاليات — ومازالت — تعيش في مصر آمنة على أرواحها ، مطمئنة على ممتلكاتها ، متمتعة بكل ما تتيحه مصر للجميع من طقس معتدل ، وطبية متأصلة في نفوس الشعب المصري ، و( جدعنة ) أولاد البلد ، الذين كانوا يدخلون أحيانا في مشاجرات للدفاع عن فتاة يونانية أو إيطالية يحاول بعض الشبان من الأحياء الأخرى معاكستها . وعندما كبرت عاصرت بعض الأحداث السياسية التي كانت تختلف فيها مصر مع دولة أو أخرى حول مسائل محددة ، وعلى الرغم من علو نبرة العداء أحيانا ، إلا أن أحدا لم يفكر أبدا في إيذاء تلك الجاليات الأجنبية الموجودة على أرض مصر الطيبة ، بل كانوا يعاملون بمنتهى اللطف والإنسانية .

ويمكنك أن ترجع هذه المواقف النبيلة إلى طبيعة الشعب المصري ، لكنك لا يمكنك أن ترجعها في معظم الأحوال إلى مستوى الثقافة أو التعليم ، لأن من يفعل ذلك إنما هي فئات الشعب المصري ، البسيطة جدا ، والتي تؤكد أنها لم تحصل على أي قدر من التعليم . جرى هذا الشريط ، وفيه الكثير من الأمثلة الرائعة التي أحتفظ بها في ذاكرتي لسلوك المصريين مع الأجانب في بلدنا ، وأنا أشاهد وأسمع في تلك الأيام — عما يحدث للمصريين والعرب والمسلمين عموما في الولايات المتحدة ، وفي كثير من بلدان العالم الغربي ، الذي نصفه بالتحضر والتقدم والمدنية ، ونحترمه لما وصل إليه من فن وعلم وتكنولوجيا . والواقع أن شعوبه قد برهنت أنها بعيدة كل البعد عن كل تلك الأوصاف ، وأنها رسبت في أول اختبار لمدى قدرتها على الفصل بين الأبرياء وبين من ارتكبوا جرما ، حتى ولو ثبتت إدانته .

ما ذنب المصري أو العربي أو المسلم الذي يعيش في الغرب ، لكي تشير إليه أصابع الاتهام ، أو يعتدى عليه من بعض المتهورين والمتعصبين ، أو تمنعه سلطات المطار من السفر ، أو تفتشه الشرطة لمجرد لون شعره أو عينيه ؟ هل هذه هي الحضارة الحديثة التي رفعت شعار حقوق الإنسان ، وأكدت لنا أن المتهم برئ حتى تثبت إدانته ، وقررت أنه لا اتهام إلا بدليل ، ولما إدانة إلا ببينة مؤكدة أو اعتراف .. □

لقد أدرك السياسيون بعض تلك الحقائق فأسرعوا بإعلان الفصل بين الإسلام والإرهاب . لكن هذا فقط في وسائل الإعلام ، أما على الأرض فشيء آخر : تحرش وتعصب وكراهية واعتداء على الأضداد والمنشآت ، حتى بلغ الأمر بكثير من العرب والمسلمين أن يلزموا بيوتهم وأن يمنعوا أبناءهم من الخروج إلى الشوارع ، خوفا على أرواحهم .. إلى هذا الحد بلغ الأمان والأمان في بلاد الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان !